Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (10): 30 Oct 2020
P: 120 - 133
ISSN: 2522-3380
مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (10): 30 أكتوبر 2020 م
ص: 120 - 133

Connecting to the religious heritage in Amal Donqul's poetry collection Al'ahd Alati

Sara Hussein Sarahneh
Al-Quds Open University || Hebron || Palestine

Abstract: This study aimed at searching in religious heritage in Amal Donqol collection of poems in his period. This poet is known with his national views and attitudes connected with steadfastness firmness and not giving up. The study showed how the poet affected by Quran, prophets personalities and religious stories, Torah, Gospel heritage.The researcher tries to get inspiration from religious symbol to see it in real world through meanings and symbols. She used collective way in presenting and analyzing the poem showing the poet communication with heritage, showing words meanings and indications trying to criticize and to comment on texts to show the poet aim.

Keywords: Communication - Religious Heritage - poetry collection Al'ahd Alati - Amal Dunqul.

التواصل بالموروث الديني في ديوان " العهد الآتي" للشاعر" أمل دنقل"

سارة حسين سراحنة
جامعة القدس المفتوحة || الخليل || فلسطين

الملخص: تبحث الدراسة عن الموروث الديني في شعر أمل دنقل في ديوان العهد الآتي. هذا الشاعر صاحب المواقف الوطنية الصلبة المتمثلة بالصمود وعدم الركوع والتنازل، كما تبحث الدراسة عن مدى تأثر الشاعر بالقرآن الكريم من شخصيات الأنبياء وقصص دينية والتناص بآية أو بحديث ثم التراث التوراتي والإنجيلي. وحاولت الباحثة استلهام الرمز الديني الذي وظفه الشاعر وأسقطه على الواقع من خلال الرموز والاشارات في هذا الديوان. وقد اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي النقدي حيث قامت بعرض القصيدة وتحليلها مبينة تواصل الشاعر مع التراث وكاشفة دلالات الألفاظ فيها مع محاولة النقد والتعليق على النصوص لبيان هدف الشاعر.

الكلمات المفتاحية: التواصل – الموروث الديني – ديوان العهد الآتي – أمل دنقل.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد:

تبحث هذه الدراسة في الموروث الديني في شعر أمل دنقل في ديوان العهد الآتي.

سبب الاختيار وأهمية البحث لهذا الموضوع:

اخترت هذا البحث رغبة في التعرف على هذا الشاعر المصري وشعره بعد أن قرأت مواقفه الوطنية الصلبة المتمثلة بالصمود وعدم الركوع والتنازل، وعرفت أنه من شعراء الرفض والمقاومة، و لعدم نيل الشاعر من الشهرة ما ناله أمثاله من الشعراء ولم يتم الاهتمام به من قبل الدارسين.

مشكلة البحث:

إلى أي مدى استطاع الشاعر أمل دنقل التواصل مع الموروث الديني في الديانات الثلاث، وأثر ذلك في شعره، كما وأشار الدكتور جابر قميحة في كتابه "التراث الإنساني في شعر أمل دنقل.

أسئلة البحث:

هل استطاع أمل دنقل كغيره من الشعراء التواصل مع الموروث الديني، وما حدود هذا التواصل؟ وهل كان هذا التواصل فعلاً نابعاً من عقيدته وفكره وإيمانه؟

منهجية البحث وخطته:

عرضت الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي النقدي فقمت بعرض القصيدة وتحليلها، بيان تواصل الشاعر مع التراث وأكشف دلالات الألفاظ فيها، وقمت بمحاولة النقد والتعليق على النصوص لبيان هدف الشاعر وغايته من الاتصال بها، وأملا في تحقيق الفائدة تم اقتسام بحثي إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة**: وتضمنت ما سبق (سبب اختيار البحث أهميته والمشكلة والأسئلة- منهجية البحث وخطته).
- **المبحث الأول:** حياة الشاعر، شعره واتجاهاته، التواصل بالموروث الديني في الشعر المعاصر.
- **المبحث الثاني:** الموروث الديني في شعر أمل دنقل في ديوان العهد الآتي، وبدأت فيه بأثر القرآن الكريم من شخصيات الأنبياء وقصص دينية والتناص بآية أو حديث، ثم تحدثت عن التراث التوراتيّ والإنجيلي.
- **المبحث الثالث:** الدراسة الفنية بما فيها من اللغة والأسلوب والتكرار والاستبدال والصورة الفنية والموسيقى والقافية.
- **الخاتمة :** أهم النتائج التوصيات والمقترحات- مصادر ومراجع الدراسة.

المبحث الأول- حياة الشاعر، شعره واتجاهاته، التواصل بالموروث الديني في الشعر المعاصر

أولاً- حياته: ولد محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل في قرية القلعة بمحافظة قنا سنة1940 م، فقد أمل دنقل والده وهو في العاشرة، فأصبح مسؤولاً عن أمه وشقيقته، ثم انتقل الشاعر إلى القاهرة للدراسة في كلية الآداب لكنه اضطر إلى ترك دراسته والسفر إلى الإسكندرية ليعمل موظفا بمحكمة" قنا" فكان دائم" الفرار "من الوظيفة لينصرف إلى" الشعر" (اليسوعي، 1996: 606).

نشأ الشاعر في ظل احتدام الصراع السياسي والاجتماعي في مصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، والسعي إلى نيل الاستقلال والتخلص من الاستعمار البريطاني ومن ثم مجيء الثورة المصرية سنة1952 م (جحا، 1999: 26).

نظم الشعر في فترة زمنية قصيرة فترة الستينات والسبعينات ولكنها فترة مهمة جداً في تاريخ مصر والأمة العربية وهي فترة الهزيمة والتفسخ وعَكَس في شعره كل ذلك فجاء شعره معبراً عن تطلعات الأمة العربية. (قميحة، 1987: 16).

كان الشاعر انفعاليا لكنه قادر على كتمان انفعالاته ومشاعره، وفي صباه كان متدينا ولكنه تحول إلى ماركسي، وتوفي وهو في الثالثة والأربعين من عمره، تاركا لنا سبعة دواوين تعبر عن الثورة والتغيير وعن هموم الوطن والدفاع عن عروبة مصر.

ومن مؤلفاته الشعرية البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، تعليق على ما حدث، العهد الآتي، أحاديث في غرفة مغلقة. (اليسوعي، 1999: 606)

ثانياً- شعره واتجاهاته

مفهومه للشعر: الشعر بمفهوم أمل دنقل يهدف للتثوير لا للتخدير، وينحاز للمحكومين لا للحاكمين، وأمل دنقل بواقع هذا المفهوم هو شاعر موقف. (الرويني، 1999: 88) .

ورسالة الشعر عنده تكمن في الانتصار لقيم الإنسان مثل الحرية والصدق والأخلاق، وأن وظيفة الشعر هي ارتباطه بالناس، لذلك فإن من أولويات وظائف الشعر أن يوظف في خدمة القضايا الوطنية في الدفاع عن حق الشعب وإيقاظ روح الشعب وإحساسه الوطني وتحريضه على الثورة والتمرد والرفض والمقاومة.

وفي شعره السياسي يتناول قضايا الأمة، كما يتناول قضاياه الخاصة لكون الشاعر يعتبر ضمير الأمة والراصد لأحاسيس الشعب. (جحا، 1999: 243).

ينقسم شعره إلى أربعة اتجاهات متداخلة وهي:

- الاتجاه الأول هو الاتجاه الرومانسي الذي يغلب عليه الطابع الشخصي ويتناول عهد الصبا وطهارة الحب البريء
- الاتجاه الثاني الذي يشمل مرحلة الصراع بين الذات والعام
- الاتجاه الثالث الذي يتمثل في ديوانه" تعليق على ما حدث"، "وأقوال جديدة عن حرب البسوس"
- أما الاتجاه الرابع الذي يتناول ذوبان الذات في الموضوع أو اندماج الخاص بالعام (جحا، 1999: 247).

ومن عوامل عودة الشاعر العربي المعاصر إلى الموروث:

العوامل السياسية الاجتماعية: عندما يشتد القهر السياسي والاجتماعي للتعبير بطرق فنية غير مباشرة تحمي أصحاب الكلمة من بطش القوى السياسية وأجهزتها ومن البطش الأدبي لبعض القوى الاجتماعية.

وهذه الظروف دفعت الشعراء للُّجوء إلى أساليب أخرى تبعدهم عن الاصطدام بالسلطة منها: الأسطورة، الرمز وغيرها (أبو اصبع، 1979: 128)

المبحث الثاني- الموروث الديني في شعر أمل دنقل؛ في ديوان "العهد الآتي"

تمهيد:

لجأ أمل دنقل إلى الأديان الثلاثة ليستعين بها في بناء صورةٍ مختلفة، وإكسابها مضامين عميقة تعبر بصدق عن قضاياه وهمومه، فصور بالموروث واقعه وواقع شعبه المقهور من الظلم، لأنه يدرك أن المورث الديني جزء من التكوين النفسي والاجتماعي للإنسان، لذا فالصورة الدينية والاقتباسات والمضامين الدينية أعطت شعره تطورا وتنوعا في التعبير عن المعنى الذي يريد.(أبو محفوظ، 1993: 12) ومن خلال قراءتي لديوان العهد الآتي لأمل دنقل رصدت الكثير من التواصل الديني الذي وظفه الشاعر في قصائده، والذي كان على مستويين:

- الشخصيات والأحداث الدينية. - النصوص الدينية.

فالعهد الآتي يسجل صلوات وأسفاراً ومزامير. وفي سفر التكوين وسفر الخروج يتحدث الشاعر عن عملية الخلق ويورد بعضاً من قصص الأنبياء والأحداث الأخرى.

والعهد الآتي كما يظهر من اسمه يمثل رؤية مستقبلية للشاعر تعتمد على مرتكزين:

الأول: النقد المر للقيم البالية والتمرد الثائر على أخلاقيات الهزيمة والثاني: التطلع الخلاق إلى استيلاد إنسان المستقبل وواقعه في صورة تناهض واقع الهزيمة. (قميحة، 1987: 94)

التراث القرآني:

تواصل أمل دنقل مع القرآن الكريم، ومن يقرأ شعره في ديوان العهد الآتي يدرك أثر القران الواضح في أسلوبه وتصوراته ويتراوح التناص لدية بين أخذ الكلمة بعينها أو التضمين للعبارة حرفيا أو الاقتباس والتأثر بالصورة الجزئية أو توظيف بعض المشاهد القرآنية في سياق بعض قصائده. (الدراجي، 1987: 152).

ومن أهم المظاهر التي بينت تواصل الشاعر مع القرآن الكريم استلهامه القصص القرآني في شعره.(الدراجي، 1987: 151)

وسأقوم بعرض قصص بعض الأنبياء من القرآن الكريم في ديوان العهد الآتي.

قصص الأنبياء

"يشكل التواصل بشخصيات الأنبياء ركناً رئيساً من أركان التواصل بالموروث الديني، وكثيراً ما يراود الشعراء شعور بوجود تشابه بين تجارهم وتجارب الأنبياء من حيث حمل رسالة معينة، ولم يأت التواصل بشخصيات الأنبياء عشوائياً، بل برز فيه عنصر الانتقاء بحيث تنجح الشخصية المنتقاة في التعبير عن أبعاد التجربة والمعاناة التي يمر بها الشاعر على الصعيدين الفردي والاجتماعي " (الخضور، 2003: 42).

استعان أمل دنقل من القرآن الكريم بقصص بعض الأنبياء ولعل قصة يوسف عليه السلام من أكثر القصص القرآنية وروداً في شعره حين استعملت القصة بأبعاد مختلفة وفي ديوان العهد الآتي في قصيدة "سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس" تطالعنا صورة يوسف الفلسطيني الذي يتقلب وحيداً في الجب يواجه مصيره الغامض في مواجهة عدوه الصهيوني حين تخلى عنه إخوته ولو نظرنا في هذه القصة لوجدنا فيها تصويراً لحالة الشعب الفلسطيني نتيجة اغتصاب فلسطين من قبل العدو، فقد وجد في يوسف وإخوته كما جاء في القرآن الكريم رموزا يعبر بها عن علاقة الشعب الفلسطيني بأمته العربية. إذاً يوسف هو الشعب الفلسطيني وأمته العربية وقياداتها المتآمرة عليه هم إخوته، وكما كانت علاقة يوسف بإخوته، كانت علاقة الشعب الفلسطيني بأمته.

"والإشارة هنا واضحه تدل على القصور العربي بل والتآمر العربي تجاه الشعب والأرض التي شاخت واشتعل رأسها شيباً لطول الانتظار وكثرة الويلات والمصائب التي واجهتها

يقول:

عائدون،
و أصغر إخوتهم (ذو العيون الحزينة)
يتقلب في الجب
أجمل إخوتهم لا يعود
وعجوز هي القدس (يشتعل الرأس شيباً)
تشم القميص فتبيض أعينها بالبكاء (دنقل، د.ت: 344)

في السطرين الأخيرين من هذا المقطع الشعري نجد اقتباساً قرآنياً "قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً" (مريم: 4) وقوله تعالى: "وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم" (يوسف: 84).

ونحن نعرف قصة يوسف وكيف عاد بصر سيدنا يعقوب عليه السلام إليه، لكن فلسطين فقدت عيونها عندما سمعت ورأت تصريحات الأمة العربية، ومن هنا نلاحظ انعدام الأمل لدى الشاعر من هذه الأنظمة الجائرة، ولا أمل لنا إلا بالله أولاً والجهاد ثانياً، وفي هذه اللحظة سيظهر الجبناء المتآمرون الذين اختبأوا في ساحة المعركة ليظهروا في ساحة الخُطب مفتخرين ببطولاتهم التي استطاعوا من خلالها تخليص فلسطين يقول:

إن الذي يحرس الأرض ربُّ الجنود!
آه من غدٍ سوف يرفع هامتَهُ؟
غير من طأطأوا حين أزَّ الرصاص؟!
ومن سوف يخطب في ساحة الشهداء
سوى الجبناء (دنقل، د.ت، 345)

وقد كانت لقصة يوسف "النصيب الأوفى في شعر الشاعر وقد يرجع ذلك على أنها السيرة الوحيدة التي توفر لها كل العناصر الجمالية والفنية في القصة الحديثة ففيها العرض والعقدة والحل والدقة التي يعجز عنها أسلوب البشر في رسم المواقف والشخصيات بكل أبعادها وخصوصا الأبعاد النفسية "(قميحة، 1987: 90)

أما استحضار شخصية النبي نوح عليه السلام فمرتبطة بقصة الطوفان، وانقسام قوم نوح بين مصدق وغير مصدق، بين مؤمن وكافر فهناك بابان مختلفان، يقول في قصيدة سفر التكوين:

قلت لنفسي لو نزلت الماء... واغتسلت... لانقسمت
لو انقسمت... لازدوجت...وابتسمت
وكان عرشي طافيا... كالفلك
ورف عصفور على رأسي
وحط ينفض البلل (دنقل، د.ت: 329)

لو نظرنا إلى النص لرأينا أمل دنقل يوظف قصة طوفان نوح في الإصحاح الثاني من سفر التكوين "فمن آمن بالحق وطلب النجاة فلينضم إلى نوح وقومه وسفينته، ومن شك واحتج وكفر فعلية اللعنة والغرق والموت".

ولو نظرنا في قول الشاعر: وكان عرشي طافيا كالفلك.

لوجدنا فيها اقتباسا من قوله تعالى: "وكان عرشه على الماء" (هود: 7)

وأظن أن في هذه إشارة من الشاعر إلى المصير المحتوم الذي ينتظر دولة المحتل القائمة على الظلم والكفر وسلب حقوق الآخرين.

فلو نظرنا في قول الشاعر:

جاء طوفان نوح المدينة
تغرق شيئا فشيئا. (دنقل، د.ت: 466)

لوجدنا قصة طوفان نوح تتفق مع طوفان أمل دنقل في الحروب التي شنت على البلاد العربية حيث طال الدمار جميع ما على الأرض من الحوانيت والبنوك والمعابد حتى طالت مستشفيات الولادة التي نحلم فيها بولادة جيل جديد يحمل على عاتقه مسؤولية رفع الظلم عن الوطن.

- وقد وظف الشاعر شخصية ابن نوح "الذي صوره متمردا على الحق" رمزا للتمرد في مصلحة الوطن ويكون رفضه الصعود إلى سفينة النجاة قرارا بمواجهة الطوفان ويتوسع هذا الرفض ليشمل شباب المدينة الذين يقررون البقاء للدفاع عن الوطن علهم ينقذونه من هذا الخطر ولو بالدفاع عنه بأبسط الوسائل، يقول:

جاء طوفان نوح
ها هم الجبناءُ نحو السفينة
بينما كنت،
كان شباب المدينة
يلجمون جواد المياه الجموح

ينقلون المياه على الكتفين
ويستبقون الزمن
يبتنون سدود الحجارة
علهم ينقذون مهاد الصبا والحضارة
علهم ينقذون الوطن (دنقل، د.ت: 467)

إنه صراع مركب يصور الصراع بين الطوفان والمجتمع ثم يتحول بين الفارين والصامدين، إذ يدين أمل دنقل هؤلاء الفارين ويوكد على رفض الإذعان ويقول: لابد من كلمة لا للسفينة ولكل من يحب الوطن فلو نظرنا في قول الشاعر:

أصبح العدل موتاً وميزانه البندقية، وأبناؤه
صُلبوا في الميادين، أو شنقوا في زوايا المدن (دنقل، د.ت: 331)

نستشعر من هذا القول قصة موسى مع السحرة وكيف حدثت المعجزة بعصا موسى، وكيف عاقب فرعون هؤلاء السحرة وصلبهم في الميادين.

قال تعالى "قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا أشد عذابا وأبقى " (طه: 71)

وقال سبحانه "لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين " (الأعراف: 124)

- حيث تمادى فرعون ومن معه في ظلمهم لموسى ومن معه، ومن بعد ذلك دهش فرعون من فعل السحرة الذين آمنوا وعرفوا أن ذلك معجزة ربانية. وغضب فرعون واتهمهم بأنهم اتفقوا مع موسى وأنه كبيرهم الذي علمهم السحر فما كان من فرعون إلا أن صلبهم وقتلهم. وفرعون أمس ليس أشد من فرعون اليوم، بما يقومون به من قتل واعتقال وتعذيب وفي ذلك تصادم بين قوى الحق والباطل حيث يظهر الباطل وتخبطه بعد بيان الحجة والبرهان.

وهنا استلهم أمل دنقل من النص القرآني قوله صلبوا في الميادين من قوله تعالى "ولأصلبنّكم في جذوع النخل"

وهنا يوظف أمل دنقل النص القرآني بأشكال مختلفة وطرق متنوعة وهو يتتبع النص القرآني ليكسب موضوعه قداسة لأن القداسة تتجسد في المصادر الدينية.

- وهذا النص عند أمل دنقل يجعل المتلقي في أعلى درجات التفاعل ؟لا التناقض في الشعر العربي المعاصر قرانا " ولأصلبنكم في جذوع النخل "
شعريا = صلبوا في الميدان (واصل، 2011: 84)

- كذلك نجد الشاعر في سفر التكوين يستلهم قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ألقوه في النار، لأنه حطم أصنامهم عندما وجد قومه يقبلون على عبادة الأصنام لا نفع فيها ولا ضرر، لقد أقبل على تحطيمها مؤمنا كل الايمان بأنه الحق في ذلك، لكن قومه غضبوا أشد الغضب لفعلته هذه وعاقبوه برميه في واد من النار (طبارة، 1999: 111-112) لكن معجزة الله التي أنقذت إبراهيم عليه السلام، قال تعالى (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يا ناركوني بردا وسلاما على إبراهيم). (الأنبياء: 68-69)

فلو نظرنا في قول الشاعر:

دقت الساعة القاسية
وقفوا في ميادينها الجهمة الخاوية

واستداروا على درجات النصب
شجراً من لهب
تعصف الريح بين وريقاته الغضة الدانية
فيئن بلادي... بلادي (دنقل، د.ت: 338)

لوجدنا الشاعر يوظف هذه القصة ليرمز بها إلى وضع الإنسان العربي مع ما يجده من ظلم وحرق في ظل الأنظمة العربية الجائرة.

التراث الإنجيلي:

من يقرأ ديوان العهد الآتي يدرك بسهولة وجود بصمات من الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم فمن الناحية الشكلية يعطي قصائده اسم "الأسفار" سفر التكوين وسفر الخروج.

حرص الشاعر على أن يترك في نفس القارئ انطباعاً بتأثره بالكتاب المقدس بعهديه، فصدر الديوان بآية من العهد القديم وهي "وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر". (دنقل، د.ت: 325)

واية أخرى من العهد الجديد

"مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يدافعون عني لكي لا أسلَّم إلى اليهود" (دنقل، د.ت: 325)

والحقيقة أن أشد قصائده تأثراً بالعهد القديم هي قصيدته الأولى "صلاة" في ديوان العهد الآتي والتي يتحدث فيها إلى رجل المباحث" رمزاً للقوة الغاشمة والمكر والخداع والنفاق والنفعية في كل عصر.

والمحور الأساسي في قصيدته هو استبدال العناصر الدينية المقدسة وإحلال عناصر أخرى محلها، متكئاً في نفس الوقت على السياق الشكلي للنصوص القديمة، فعندما يضع أمل دنقل لقصيدته الأولى عنوان "صلاة" فإنه يستحضر بذلك أكثف لحظات التجربة الدينية التقليدية، فإذا شرعنا في قراءة صلاته وجدناها منذ السطر الأول تعبيراً لاذعاً عما يتم في العصر الحديث من انتهاك للقدسية (فضل، 1987: 60)

أبانا الذي في المباحث
نحن رعاياك باق لك الجبروت
وباق لنا الملكوت
وباق لمن تحرس الرهبوت (دنقل، د.ت: 326)

فالمقطع ينتمي لعالم الصلوات المسيحية، لكن المصلى له لا يقيم في السماء كما تعودنا وإنما في المباحث، فالشاعر استعار النص لرسم جو الرهبة الذي كان يحيط برجال المباحث الذين تقترن بهم الرهبة والجبروت، فيطغى على المحكومين ويدينون لهم بالملكوت.

والشاعر في هذه الابيات يتأثر بقول الإنجيل " أبانا في السماوات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماوات كذلك على الأرض". (الكتاب المقدس، إنجيل متى: 10)

- والقصيدة قريبة الشبة في منهجها ومضمونها وأسلوبها بأسلوب المزامير وهي أشد شبهاً بالمزمور الثامن حيث يبدأ...

أيها الرب سيدنا، ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات" (الكتاب المقدس، مزامير: 6).

وفي الإصحاح الأول من سفر التكوين يشير الشاعر إلى الثالوث المقدس عند النصارى يقول:

كنت أباً / وابناً / وروحاً قدساً
كنت الصباح والمساء
والحقة الثابتة المدورة (دنقل، د.ت: 328)

والثالوث عند النصارى هو "الأب والابن، وروح القدس "

وظف أمل دنقل استخدام الأب المقدس كاستخدام تراثي ليدل على دلالة اجتماعية وسياسية تحيل إلى كل ما هو سلطوي فوقي في الكيان الاجتماعي، فما زلنا محكومين داخل إطار المجتمع الأبوي.

ولكن أمل دنقل لم ير في المسيح رمزاً للعذاب والألم لأن المسيح ما زال معذبا يعاني على يد اليهود الذين ينتهكون حرمة فلسطين ومقدساتها لأن المتعارف عليه أن رمز المسيح يحمل معنيين هما: الفداء والشقاء.

قال الشاعر:

حدقت في جبيني المقلوب
رأيتني الصليبَ والمصلوب
صرختُ كنت خارجاً من رِحِمِ النهاءة
صرخت أطلبُ البراءة
كينونتي – مشنقتي
وحبلي السري
حبلها المقطوع (دنقل، د.ت: 335)

ولعل الشاعر وظف هذا الحدث ليدلل على ميلاد إنسان جديد مصوغ من تراب الأرض ودموع الشقاء، فالصورة المثلى عنده تنبع من "المعايشة الأرضية لمن يشقون ويتألمون ويغتربون ولعله رمز بالصليب.

وهذا التراث الديني الذي يقصد به الشاعر "العصر الحديث، ولعله من وراء ذلك يختار قيمة إنسانية كبرى تواجه مصائر الأمم، وتؤرق الإنسان كل يوم وهي الحرية التي يظل يبحث عنها الشاعر طيلة حياته". (صالح وآخرون، 1996: 101-102)

التراث التوراتي:

- تواصل أمل دنقل مع التراث التوراتي وظهر باستعانته بأسفار التوراة، سفر التكوين وسفر الخروج

ففي قصيدته أغنية الكعكة الحجرية، من سفر الخروج استعان الشاعر بسفر الخروج وهو أحد أسفار العهد القديم، وقال:

أيها الواقفون على حافة المذبحة
أشهروا الأسلحة!
سقط الموت، وانفرط القلب كالمسبحة
والدم انساب فوق الوشاح!
المنازل أضرحة،
والزنازن أضرحة،
والمدى أضرحة،
فارفعوا الأسلحة!
واتبعوني

نظم أمل دنقل سفر التكوين عام 1972م، وقد استعان به لأنه يحكي قصة خروج بني اسرائيل من مصر، بعد المعاناة التي عانوها من فرعونها (الكتاب المقدس. أسفار العهدين القديم والجديد، ص104) أما سفر الخروج عند أمل دنقل فيحكي قصة المظاهرات لطلبة الجامعة عند النصب العام المقام أمام جامعة القاهرة في الفترة التي سبقت حرب أكتوبر عام 1973م.

المبحث الثالث- الدراسة الفنية في شعر التواصل بالموروث الديني في ديوان "العهد الآتي"

اللغة والأسلوب

اللغة تختلف من شاعر لآخر، وكل شاعر له الحق في اختيار اللفظ بالطريقة التي يراها مناسبة، فاللغة تعكس المعنى الذي يريد وكلما أجاد الشاعر في اختيار ألفاظه ارتقى شعره.(أمين، 1972: 74)

ويصف الكاتب "محمود أمين العالم" لغة أمل دنقل في شعره "بأنه يقترب من النثرية، ويرى أن الطابع النثري يكاد يكون سمة مطردة في أغلب قصائده لا لركاكة في بنيتها، وإنما لغلبة المفردات التي نستخدمها في حياتنا اليومية". (الرويني، 1999: 178)

واستعمال كلمات الحياه اليومية سمة واضحة في أسلوب أمل دنقل وهذا لا يعيب أسلوبه لأنه كان يحسن توظيف هذه الكلمات في مكانها المناسب.

يقول:

الماء يعلو
على درجات البيوت. الحوانيت – مبنى البريد – البنوك
التماثيل(أجدادنا الخالدين)-المعابد – أجولة القمح
مستشفيات الولادة، بوابة السجن – دار الولاية – أروقة الثكنات الحصينة
يطفو الأوز على الماء
يطفو الأثاث
ولعبة الطفل (دنقل، د.ت: 466)

فالكلمات (الحوانيت، التماثيل، المعابد مستشفيات الولادة، بوابة السجن) من واقع حياتنا اليومية لكن الشاعر قام بتوظيف هذه الكلمات ليبين الأثر السيء للحروب التي شنت على البلاد العربية حيث دمرت جميع ما على الأرض حتى مستشفيات الولادة التي تحلم بولادة جيل جديد تقع على عاتقه عبء المسؤولية في رفع الظلم عن الوطن المحتل.

وبالعودة إلى أسلوب الشاعر وجدته يستهل بعض قصائده بالعبارة المتوهجة الهادفة منها في قوله في سفر التكوين.

في البدء كنت رجلاً-امرأة وشجرة. (دنقل، د.ت: 328)

فقد جاء استهلال القصيدة على شكل قضية تخدم غرضين:

الأول: التكوين في البداية أي البدء لخدمة العنوان "سفر التكوين"

الثاني: يوظف الشاعر خروج آدم من الجنة بخروج الأمة العربية/ الشعب الفلسطيني بسبب الظلم والاضطهاد، وما يلاقونه من ويلات الاحتلال وتآمر المتآمرين.

جاء استهلال القصيدة بأسلوب النداء ليخدم الغرض المطلوب وهو في الواقع التعبير اللاذع عما يتم في العصر الحديث من انتهاك للقدسية/ وواضح أيضاً أنه استخدم أسلوب السخرية المصحوبة بمرارة لكثرة ما يحدث من انتهاكات فهي تثير الضحك بقدر ما تثير الألم العميق.

وكذلك نجد هذا الأسلوب واضحاً في استهلال "أغنية الكعكة الحجرية "

أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهروا الأسلحة (دنقل، د.ت: 236)

ولعل الغرض من أسلوب النداء هنا هو الخروج والثورة ضد النظام الظالم.

ومن الأساليب التي لجأ إليها الشاعر:

التكرار: وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد وهو ظاهرة معروفة منذ القدم، ولا زالت تأخذ مكانها في الشعر الحر، ويأتي التكرار لتأكيد غرض يسوقه الشاعر(الحموي، خزانة الأدب، 1987عام: 361)

أما على صعيد تكرار الأفعال التي استخدمها الشاعر في قصائده، واضح أن الشاعر يعمد إلى صيغة الماضي ليبين ويوضح أثر العهد القديم في ديوانه العهد الآتي ودلالة هذا الفعل في عصرنا الحاضر فأغلب الأسفار تتعلق بالماضي، وتصور وقائع وأحداثا وشخصيات مضت.

يقول الشاعر:

كنت رجلاً

كنت أباً

كنت الصباح والمساء

وكان عرشي طافيا (دنقل، د.ت، 328)

وظف الشاعر الفعل الماضي "كان" ليدلل على سقوط العهد القديم لأن هدف الشاعر هدم العهد القديم والتطلع لمستقبل يحمل رؤية ثورية جديدة.

والشاعر يعمد لصيغة المضارع عندما يتحدث عن الواقع الذي يعيشه ويؤكد على استمراريته ويوضح به أثر العهد الجديد في ديوانه ويدل على رؤية مستقبلية للشاعر. التي تتطلع للأفضل والأرقى على الإطلاق فلننظر إلى خاتمة الديوان:

آه. من يوقف في رأسي الطواحين؟

ومن ينزع من قلبي السكاكين ؟(دنقل، د.ت، 389)

فأفعال مضارع التي وردت هنا (يوقف – ينزع – يقتل – يكبروا –يصبحوا – يبيعون – يستجدون) نجد فيها رؤى صادقة صاعقة ليتهيأ الواقع المر الضعيف لصنع مستقبل عامر بالعزة والكرامة والقدرة على الحياة السعيدة، لأن الطبقة الاجتماعية الحاكمة تقوم على القهر والاستلاب لهذه الفئة.

- الشاعر يعمد لصيغة الأمر ويكثر من تكرار هذا الفعل ليظهر دور التكرار في التأكيد على الفكرة التي يريد الشاعر، ففي قصيدته أغنية الكعكة الحجرية من سفر الخروج.

أيها الواقِفونَ على حافةِ المذبحهْ

أَشهِروا الأَسلِحهْ!

سَقطَ الموتُ؛ وانفرطَ القلبُ كالمسبحَهْ.

والدمُ انسابَ فوقَ الوِشاحْ!

المنَازلُ أضرحَةٌ،
والزنازن أضرحَةٌ،
والمدَى.. أضرِحهْ
فارفَعوا الأسلِحهْ
واتبَعُوني! (دنقل، د.ت، 389)

أفعال الأمر(أشهروا – فارفعوا – واتبعوني) جاءت للتأكيد على الفكرة ولعلها الرغبة الجادة في الدعوة لتغيير الذي نعيشه والحلم بمستقبل أفضل إن وجد.

الاستبدال في اللغة: أخذ شيء مكان شيء وفي لسان العرب استبدل الشيء بغيره إذا أخذ مكانه والأصل في الاستبدال جعل شيء مكان شيء آخر واصطلاحا: هو عملية تتم داخل النص إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، ويعد الاستبدال في ذلك شأنه شأن الإحالة (ابن منظور، 2، 2000: 41) لعل المحور الأساسي لقصائد أمل دنقل في المورث الديني هو استبدال العناصر الدينية وإحلال عناصر أخرى تمثل واقعه، متكئاً في نفس الوقت على السياق الشكلي للنصوص القديمة حيث يصبح توازي الموقع المصدر الرئيس في توليد الدلالة الجديدة. (فضل، 1987: 63)

ويظهر الاستبدال في الأسطر الآتية من قصيدة "الصلاة"

أبانا الذي في المباحث. نحن رعاياك باق لك الجبروتُ
وباق لنا الملكوت
وباق لمن تحرسه الرهبوت (دنقل، د.ت: 326)

استبدل الشاعر بالسماء المباحث، إذ النص الأصلي هو "أبانا الذي في السموات" كما سبق ووضحت باعتبارهما طرفي نقيض لأن السماء تمثل العدل والرحمة ولكن عند المباحث نفقد العدل والرحمة. ويوظف الشاعر هذا الاستبدال الذي يشير إلى انتهاك العدالة والذي تمارسه هذه المؤسسات حيث يتم التعبير عنه بمعادل أسلوبي جارح.

و الاستبدال بالنقيض مثل:

المجد للشيطان معبود الرياح (دنقل، د.ت: 381)

إذ يستبدل بعبارة الإنجيل "المجد لله في أعالي السماوات" بقول المجد للشيطان (الإنجيل متّ: 45)

وتوظيف الاستبدال هنا يشير إلى تمجيد رمز التمرد والثورة والاستبداد وهو بذلك يوحي بتوليد دلالة جديدة تخدم الغرض الذي يريده الشاعر.

الصورة الشعرية (الفنية):

تعد الصورة الشعرية جوهر فن الشعر عامة، إذ لا بد لأي شعر من صور فنية تشع فيه الحيوية، ولعل من أجود الصور الشعرية تلك التي تمتاز بأنها تعبيرية، إيحائية أكثر منها وصفية مباشرة إذ إن هذه السمة تجعلها قوية من الناحية الفنية. (ضيف، في النقد الأدبي: 162)

والتعبير بالصورة هو لغة الشاعر التلقائية، والصورة تكشف عن اكتمال الرؤية لدى القارئ، كما تقترب الصورة إلى ذهن القارئ بطريقة لا يستطيع الكلام العادي أن يكشفها. (عبدالله، الصورة والبناء الشعري: 43)

تختلف الصورة من شاعر لآخر تبعاً للملكة اللغوية والخيال الذي يملكه الشاعر فالصورة عن طريق التشبيه واضحه في قوله:

الناسُ سواسيةٌ - في الذلّ - كأسنانِ المشطْ ينكسرونَ - كأسنانِ المشطْ في لحيةِ شيخِ النفطْ !! (دنقل، د.ت: 38)

فشبه الشاعر الناس بأسنان المشط، وجعل وجه الشبه "الذل" فهو المقياس الوحيد الذي يستوي فيه الناس فيكونون كأسنان المشط، خاصة في زمن طغت عليه الماديات.

وأحيانا يلجأ الشاعر للوصف المباشر مثلما وصف طوفان نوح الذي عم المدينة إذ أخذ يصف المدينة مستمدا صورها من الحياه اليومية

جاء طوفان نوحْ!
المدينة تغرق شيئاً.. فشيئاً
تفرّ العصافيرُ،
والماء يعلو
على درجات البيوت – الحوانيت... (دنقل، د.ت: 460)

الموسيقى والقافية:

الموسيقى عنصر جمالي تتعطش النفس البشرية للإحساس به، وهي من أهم العناصر الواجب توافرها في الشعر وخلو الشعر منها يعنى وقوفه مكبلاً لا يقوى على اختراق جدران القلب، وبذلك يعجز الشاعر عن نقل رسالة أحاسيسه ومشاعره إلى محبي الشعر ورواده كفن من الفنون.

إن من أبرز الحقائق المتصلة بين النثر والشعر هو اشتمال الشعر على الوزن وربما هذا يثير تساؤلات عدة منها ما أثر الوزن في الشعر وخير جواب على ذلك ما قاله إبراهيم أنيس: "والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع لتتكون منها جميعاً تلك السلسلة المتصلة الحلقات والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها نسميها القافية ".(أنيس، 1972: 18)

موسيقى القصيدة في النقد الحديث: قسمان "خارجية تحكمها الأوزان، وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظام المجردين"(بكار، 1979، 193)

ويرى الدكتور محمد غنيمي هلال أن طريق الشعر الحر أشق من الأوزان التقليدية لأنه يستلزم دراية بأسرار اللغة الصوتية وقيمتها الجمالية.(هلال، 1964: 476)

ومن يقرأ ديوان العهد الآتي لأمل دنقل يلاحظ توفر هذه الوسائل التي مكنته من أن يكون واحداً من أمهر شعراء التجديد.

أول معالم الموسيقى في الشعر هو القافية، والحقيقة أن الشاعر نوع في القافية الداخلية خلال القصيدة الواحدة، كما جاءت القوافي عنده في معظم أصوات العربية، ولم يقف عند قافية واحده.

وتظهر في شعره قواف داخلية متعددة تعتمد على ما يشبه حسن التقسيم، وهذا واضح من قول الشاعر في قصيدة الصلاة.

تفردت وحدك باليسر. إن اليمين لفي الخسر
اما اليسار ففي العسر إلا الذين يماشون.(دنقل، د.ت، 326)

واضح من خلال القصيدة التنوع في القوافي الداخلية وتأتي المجانسة بين الكلمات فقد جانس الشاعر بين(اليسر، خسر، العسر) وبين (يعيشون، يَحشون)

و الجناس: صورة من الصور البديعية وقد حاول بعض الشعراء المعاصرين توظيفه توظيفاً جديداً يثرون به من الجانب الموسيقي في القصيدة ليصبح بذاته عنصراً إيجابياً جديداً. (علي عشيري، 1980، 217)

ولعل الجناس أضفى جواً موسيقاً مكثفاً على القصيدة، وهي تلك الموسيقى الخفية التي تعني "توقيعات نفسية تنفذ إلى صميم المتلقي لتهز أعماقه في هدوء ورفق" (اسماعيل، 1972: 66)

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة مع أمل دنقل في تواصله بالموروث الديني في العهد الآتي يمكنني أن أخرج بمجموعة من التوصيات:

- يعد الشاعر أمل دنقل من دعاة الرفض والثورة، فشعره يهدف للتثوير لا للتخدير، وينحاز للمحكومين لا للحاكمين، للشعب وليس للسلطة، فهو شاعر موقف وثورة وغضب وهذا ناتج عن احتكاك الوعي بحركة الواقع وتناقضاته حيث عاش الشاعر في ظل الظروف السياسية والاجتماعية السيئة التي سادت الوطن العربي في الستينات والسبعينات من هذا القرن، كما أوصي الباحثين بدراسة شعره وإبرازه كشاعر ثائر ضد الظلم والطغيان كغيره من الشعراء.

خلاصة بأهم النتائج:

أولاً: تواصل أمل دنقل مع القرآن الكريم وتواصله كان على مستويين: الشخصيات والأحداث الدينية- النصوص الدينية. وكان للكلمة القرآنية مكانها في شعره حيث تراوح التناص لدية لأخذ الكلمة بعينها أو التضمين للعبارة حرفيا أو الاقتباس بآية أو بجزء منها واستعماله للرموز القرآنية كان أكثر بكثير من استعماله للرموز الإنجيلية والتوراتية وربما يعود لتربية الشاعر منذ صغره ببيئة دينية.

ثانياً: تواصل مع شخصيات الأنبياء، ولم يكن تواصله عشوائيا بل برز فيه عنصر الانتقاء بحيث تنجح الشخصية المنتقاة في التعبير عن أبعاد التجربة والمعاناة التي يمر بها الشاعر

ثالثاً: ظهر تواصله مع التراث الإنجيلي والتوارتي، فمن الناحية التشكيلية أعطى قصائده اسم الأسفار "سفر التكوين- سفر الخروج –عنوان لبعض قصائده بالمزامير، واستخدم كذلك الرموز المستقاة من الإنجيل مثل المسيح بصورة المختلفة من الفداء والعذاب.

رابعاً: عبر أمل دنقل عن تجربته الشعرية بلغه مفهومه تقترب من النثر بألفاظ من الحياة اليومية التي تكون سمة الناس عامه في معجمه الشعري ليكون قريباً من نفوس الناس ومن ذهن القارئ، وهذا لا يعيب أسلوبه.

خامساً: استخدم الشاعر الحوار المعبر الممتزج بالأسلوب القصصي، وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها ببعض اتصالاً صريحاً مباشراً

وفي الصورة الشعرية استخدم الشاعر الصورة المفردة في التشبيه والوصف المباشر، واستخدم الصورة المركبة عن طريق المفارقة التصويرية التي ظهرت في شعره بشكل واضح كما مثلت عليها.

وأخيرا آمل ألا أكون قد أخطأت الهدف، وجانبني الصواب فيما خلصت إليه من نتائج.

والحمد الله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتاب المقدس
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم.(2000).لسان العرب لابن منظور.ط1.دار صادر للطباعه والنشر. بيروت.
- أبو أصبع، صالح. (1979). **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة منذ عام 1948 حتى 1975**. ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- إسماعيل، عز الدين. (1972). **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. ط2. دار العودة. بيروت.
- أمين، أحمد. (1972). **النقد الأدبي**. ط4. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- أنيس، إبراهيم.(1972) **موسيقى الشعر**.ط5. دار القلم. بيروت.
- بكار، حسين يوسف. (1979). **بناء القصيدة العربية**. د. ط. دار الثقافة. القاهرة.
- جحا، ميشال خليل. (1999). **الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى مجمود درويش**. ط1.دار العودة. بيروت.
- الحموي، تقي الدين.(1987).**خزانة الأدب وغاية الإرب**، ط1. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- الخضور: ادق. (2003). "**التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة**"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين.
- الدراجي، محمد عباس. (1987). **الإشعاع القرآني في الشعر العربي**. ط1. مكتبة النهضة العربية. بيروت.
- دنقل، أمل. (د.ت). **الأعمال الشعرية الكاملة**. د. ط. مكتبة مدبولي. القاهرة. دار العودة بيروت.
- الرويني، عبلة. (1999). **سفر أمل دنقل**. د. ط. النهضة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- صالح، فخري وآخرون. (1996). **دراسات نقدية في أعمال السياب**. ط2. حاوي. دنقل. جبرا. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ضيف، شوقي. (1963). **في النقد العربي**. ط2. دار المعارف. مصر.
- طبارة، عفيف. (1999).**مع الأنبياء في القران الكريم**. ط2. دار العلم للملايين. بيروت.
- عبدالله، محمد حسن.(1981).**الصورة والبناء الشعري**. د.ط. دار المعارف مصر.
- علي عشري، زايد.(1980). "توظيف التراث العربي في شعرنا المعاصر". **مجلة فصول**. **1** (1): ص217.
- فضل: لاح. (1987). **إنتاج الدلالة الأدبية**. ط1. مؤسسة مختار للنشر والتوزيع. القاهرة.
- قميحة، جابر. (1987). **التراث الإنساني في شعر أمل دنقل**. ط1.هجر للطباعة والتوزيع. القاهرة.
- هلال، محمد غنيمي. (1964). **النقد العربي الحديث**. ط3.مطابع الشعب. القاهرة.
- واصل، عصام حفظ الله.(2011). **التناص في الشعر العربي المعاصر**. دار غيداء للنشر والتوزيع. عمان- الأردن.
- اليسوعي، روبرت كامبل. (1996).**أعلام الأدب العربي المعاصر سير وسير ذاتية**. ط1. الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت.